

# في الطريق الى الدهرين

## ( ١ ) هزيمة

الهدوء الذي يبدأ العاصفة  
غاص فيها مسافة  
واوجوه التي تشهى النهار  
كبرت في الجدار  
وتساقط قشر الجراح  
واصلي يا كلاب النباح

## ( ٢ ) جنازة

العيون الحزينة  
وقفت في تقاطيعه الباردة  
وتوقف ضوء المدينة  
فوق جفنيه ثم .. تعالى الرصاص

## ( ٣ ) حب

كيف ابادلك الحب ؟  
.. ما زال القلب  
يطفح بالصور التذكارية

## ( ٤ ) دعوة

بالنظرة والصوت  
ازن فأبار الزيت  
عاهرة حتى الموت

## ( ٥ ) جواب

تسأل ما لون الغد  
تسأل ما شكل الغد  
أسأل ما لون اليوم  
أسأل ما شكل اليوم

## ( ٦ ) صرخة

بأسم النصف الاسفل  
بأسم المستقبل  
اعطوني تمثال الحرية  
اتوارى فيه عن الانظار

## ( ٧ ) انتماء

فوق جسور العالم أمشي عاري القدمين  
في الارض المفسولة أمشي  
وأغني للخشب الصلب  
آخر اشعار الحب  
فوق جسور العالم في الارض المفسولة  
أخلص من خوفاي  
أسقط في البحر

خلدون الصبيحي

حلب

الالفاظ التصويرية والحسية ( البدائية ) محل الالفاظ الفكرية المجردة والمحدودة .

من هذه الالفاظ الحسية التي هي عماد اللفظة البدائية ، يتكون قاموس محمد عفيفي مطر الشعري . وهو قاموس معظمه من الالفاظ الوثيقة الارتباط بالفنية والحياة فيها .. فكلماته الاثيرة هي الشجر والسرو والصفصاف والجميز . والحواكير والنواطير والفيضان والسنابل والاعشاب . الشمس - الشروق والقمر والطمسى والغرين والحدائق والزهور والفصول . وخشاش الارض والقناديل والعباءات والعصافير والصفائر والسواقي والقواديس .. الخ .. والوانه الاثيرة ، وعاله زاخر بالالوان ، هي ايضا الالوان المقتطعة من هذا العالم . انها الوان الرماد والليل والفيروز والقصب . وسمرة الارض وخضرتها . وهي النيلي والبني والاصفر والاخضر . والزرقة المقتطعة من كبد السماء الريفية الصافية أو من التوتياء . والاحمر عنده ليس ذلك الاحمر الدموي الفاقع ولكنه الاحمر الهاديء الذي تشبه حمرة حمرة ماء النيل أيام الفيضان . وغير ذلك من الالوان المقتطعة من الزروع والاثمار كالكزيتون والعنب . كما ان افعاله في أغلبها أفعال صور وحركة . ومن هنا فهي أفعال مضارعة في معظم الاحيان لتحصد الحركة في آنيتها وحدثها . وليست مجرد اشارات اخبارية تبثنا بان ثمة حركة قد حدثت وانتهت كما تفعل الالفاظ الماضية غالبا . وهي أفعال تحنفي دائما بتوهج الحركة وتسجل عنفها . كإفعال تتفجر وتفرغ وتحط وتصلصل وتنفرس وتتخاطف وتشب وترتمش وتصق وتطارد وتحنر وتستقى .. الخ . وهي أفعال تسبقها كثيرا تاء التانيث بدلا من ياء المضارعة . لان معظم الاشياء في عاله أشياء مؤنثة تغير الالفاظ تاء تانيثها كمدخل للفعل وشارة . وتعطينا تلك الظلال التي تعنيها الانوثة والشونة في عالم الريف المصري من خيبة وقهر وميوعة واحباط .

بقيت اخيرا كلمات عن قضية الغموض التي تثار كلما تطرق الحديث الى قصائد محمد عفيفي مطر والى منهجه الشعري . وهي تثار غالبا بعد الاعتراف بطاقة محمد عفيفي مطر وبقدرته الاصلية على ابداع سيل دافق من الصور الحسية التي يفرق فيها بالغموض قصائده . والحقيقة ان الذين يتهمون عفيفي مطر بالغموض يدلون الى عاله عبر ابواب غير باب هذا العالم الشعري . وبمقاييس غير مقاييسه . انهم يريدون ان يطبقوا عليه المقولات المدرسية الجامدة . ويتزعجون عندما يتأني شعره على الانصياع لها . وعندما يحسون فيها بانفعال صادق واصالة حقبة برغم تانيثها على المقاييس بهذه الصورة . وهؤلاء الذين يأخذون على الشاعر انفعاليته الصادقة ويتهمونه بالغموض يتعاملون معه بمقاييس مفلوطة . فليس الغموض هو ما يصدر عن الانفعال ، بل الوضوح الاسمي - كما يقول كلوديل - انهم بذلك لا يستطيعون الارتفاع الى مستوى الكلمة المشحونة بالانفعال . الكلمة الشعرية . الكلمة التي تتخطى حدود الدلالة الثرية الواضحة لتصنع افقا رحبيا من الصور والمعارف . بل يتعاملون كلماته بالاسلوب العادي اليومي الذي لا تعني فيه الكلمات الاشياء بل تدل عليها . تعطينا عنها مختصرا سهلا ولفظا ومحدودا . لكن الشاعر - كما يقول كلوديل - لا يستخدم الكلمات بالطريقة نفسها . انه لا يستخدمها من أجل النغمة . بل كي يشكل من سائر الاشباح البهمة والصور المنغومة الطنانة التي تضعها الكلمة تحت تصرفه لوحة مفهومة وسخية في وقت واحد . ان العادة التي تستبدل طبيعة الاشياء الحقيقية بطبيعة ثانية . يعني بقيمة عملية خالصة سلسة وفعالة ، قد أصبحت عنوا له . عنوا ينفي هزيمته وتنويمه . وتلك هي فائدة تكرار الاصوات وتناسق المقاطع وانتظام الاقاعات وتراوح درجاتها وكل وسائل الانشاد العروضي الاخرى .. ان من ينظر الى شعر محمد عفيفي مطر بتلك النظرة ارجحة التي يتطلبها كلوديل سوف يراه واضحا لا غموض فيه .. شديد البساطة والوضوح .

صبري حافظ